«١»

وائل بن حجر الحضرمي

أنباء الحجاز - إسلام حضرموت - بقية أبناء الملوك - وثيقة تاريخية - عودته إلى حضرموت - انتشار الإسلام

❖ أنباء الحجاز:

وردت الأنباء - إلى حضرموت - ذات يوم تحملها قوافل الحجاج العائدة من مكة بعد انتهاء موسم الحج تتحدث عن فتى قريش ودعوته الجديدة إلى التوحيد وإصلاح النفوس وتطهيرها من أدران الشرك والوثنية، فلم يحفل بها سادات الحضارم وأمراؤهم بادئ الأمر، ولم يعيروها كبير اهتمام؛ لأنهم لم يستطيعوا أن يتصوروا ما سيكون لصاحب هذا الأمر من شأن، وما ستحرز دعوته من نجاح.

واستمرت وفود الحضارم كل عام تشهد موسم الحج، وتعود بما تسمع وترى من أخبار محمد - عليه السلام - وانتشار دعوته متحدثة عن تفاصيل هذه الدعوة الجديدة، وما كان يلقاه صاحبها من معارضة وأذى من قومه وعشيرته الأقربين.

وفي أحد مواسم الحج هذه عرض النبي - عليه السلام - نفسه على من حضر الموسم من حجاج الحضارم طالباً إليهم نصرته وحماية دعوته، فلا يقطعون فيما عرض عليهم برأي ويقولون: قوم الرجل أدرى به.

وتتوالى الأيام سراعاً، فإذا محمد - عليه السلام - في المدينة على

رأس جماعة كبيرة من المسلمين، قد نبذوا حياة الوثنية وعادات الجاهلية، واستقبلوا عهداً جديداً يعبدون فيه إلهاً واحداً ويدينون بدين واحد يدعو إلى المساواة ومحو الفوارق بين الناس، وإلى جمع شتات المسلمين تحت نظام واحد وسلطة واحدة، ثم لم يكتفوا بإعلان دعوتهم والجهر بها فقط، بل جردوا سيوفهم يحاربون بها كل من عارضهم أو أضمر في نفسه كيداً لهم ومحاربة لدينهم، فهزموا قوات المشركين في بدر وحنين وغيرهما من المواقع الحربية، وفتكوا بيهود بني قريظة، وأجلوا غيرهم من يهود الحجاز، وانسحب الروم أمامهم في تبوك، وتمَّ لهم نصر الله وتأييده حين فتحوا مكة وأسلم المتخلفون من قريش.

❖ إسلام حضرموت:

وتناقل الناس في أنحاء الجزيرة العربية أنباء الانتصارات التي أحرزها المسلمون، وتحدثوا عن وفرة عددهم، وقوة جيوشهم وصلابتهم في دينهم وتحمسهم لعقيدتهم، فأسرعوا إلى إعلان إسلامهم، وقدمت وفود منهم إلى المدينة في السنة العاشرة من الهجرة تعبِّر عن طاعتها وإذعانها حتى لم يبقَ في شبه الجزيرة العربية بطن أو قبيلة إلا أسلم.

وآن لحضرموت أن تعتنق الدين الجديد: دين الإسلام، وتنضم إلى الوحدة التي دعا إليها نبي المسلمين حيث لا مجال للتردد، لقد وضح الحق ووصلت الدعوة الجديدة إلى أقصى ما يمكن أن تصل إليه من نجاح وانتشار، فاجتمع أصحاب الكلمة وذوو الرأي من الحضارمة تحت رئاسة أمرائهم ورؤسائهم؛ ليصلوا إلى نتيجة بشأن هذا الانقلاب التاريخي العظيم الذي أوشك أن يبدل التقاليد والعادات والأنظمة والمعتقدات، وانفضَّت اجتماعاتهم عن قرارات حاسمة تقضي بوجوب اعتناق الدين الإسلامي، والدخول في جماعة المسلمين، والانضمام إلى وحدتهم الكبرى، وأسرعت البلاد ترسل ممثليها إلى المدينة عاصمة الإسلام الأولى تقدِّم

الطاعة، وتعلن عن إسلام الحضارمة وإذعانهم لأحكام الدين الجديد وتعاليمه.

تجهَّزَ الأشعث بن قيس الكندي أمير بني الحارث بن معاوية في ثمانين راكباً من قومه للقاء النبي - عليه السلام - في المدينة، كما قدم عليه فيها ملوك بني عمرو بن معاوية وأمير جردان ورئيس الجعفيين قيس بن سلمة في رهط من عشيرته، وكذلك أمير بلاد الشاطئ وائل بن حجر الذي نتحدث عنه في هذا الفصل الأول من الكتاب، وكان النبي - عليه السلام - يَقْبَل إسلامهم، ويُقِرُّ كل أمير على إمارته.

❖ بقية أبناء الملوك:

وكان النبي - عليه السلام - قد أخبر أصحابه بقدوم وائل بن حجر قبل أن يقدم المدينة، فقال لهم ذات يوم: «يأتيكم بقية أبناء الملوك»، فلمَّا قدم وائل في السنة العاشرة من الهجرة، رحَّب به النبي، وأدنى مجلسه، وبسط له رداءه الشريف؛ ليجلس عليه مبالغة منه - عليه السلام - في إكرامه، وقال: اللَّهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده إلى يوم القيامة، ثم أصعده على المنبر وأقطعه أرضاً وكتب له عهداً، وقال: هذا وائل سيد الأقيال، أي الملوك؛ لأن القَيْل في اصطلاحهم الملك.

ولما همَّ وائل بالانصراف من هذه المقابلة أمر النبي - عليه السلام - معاوية بن أبي سفيان أن يصحبه إلى المنزل الذي أُعِدّ لإقامته فيه بالحرَّة في ضاحية المدينة، فمشى معاويةُ معه، وكان وائل راكباً، وفي الطريق إلى الحرة جرى بينهما الحديث التالي:

معاوية: أعطني نعلك أتوَقَّ بها الرمضاء.

وائل: لا يبلغ أهل اليمن أن سوقة لبس نعل ملك.

معاوية: أرْدفني إذن.

وائل: لستَ من أرداف الملوك.

معاوية: إنَّ الرمضاء قد أحرقت قدمي.

وائل: امشِ في ظل ناقتي كفاك بها شرفاً.

وخضع معاوية القرشي لزهو الملك الحضرمي وشعوره بمركزه؛ تنفيذاً لأمر النبي له في أن يصحبه إلى الحرَّة، فسار معه حافياً.

وقد عاش وائل حتى قدم على معاوية بالشام وهو أمير المؤمنين، فتلقاه معاوية وأكرمه ورحب به، وقدم له من صنوف الاحترام والتقدير ما جعل وائلاً يتذكر الحديث الذي جرى بينهما في الطريق إلى الحرَّة، ويقول: وددت لو كنت حملته بين يديَّ، وعرض عليه معاوية جائزة سنية، فأبى أن يأخذها، وقال له: أعطها من هو أحوج إليها مني.

❖ وثيقة تاريخية:

وفي هذا الكتاب الذي كتبه النبي - عليه السلام - لوائل بن حجر وثيقة تاريخية تعطينا صورة عن أسلوب الكتابة وعن المفردات اللغوية المستعملة في ذلك العصر بين الحضرميين، فقد كان النبي - عليه السلام - يخاطب كل قوم بلهجتهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب محمد النبي لوائل بن حجر قيل حضرموت، إنك إن أسلمت لك ما في يديك من الأرض ويؤخذ من عشر واحدة، ينظر في ذلك ذوا عدل، وجعلت لك ألا تظلم فيها معلم الدين، والنبي والمؤمنون أشهاد عليه».

وفيه: إلى الأقيال العباهلة[١] والأرواع[٢] المشابيب[٣].

---

(١) العباهلة: هم الذين أقرّوا على ملكهم لا يزالون عنه، واحده عبهل.
(٢) الأرواع: جمع رائع، وهم الحسان الوجوه، أو الذين يروعون الناس.
(٣) المشابيب: أي السادة، واحدهم مشبوب.

وفيه: في التبيعة[١] شاة لا مقوّرة الألياط[٢] ولا ضناك[٣]، وانطوا[٤] الثبجة[٥]، وفي السيوب[٦] الخمس، ومن زنى ممبكر[٧] فاصفعوه[٨] مائة واستوفضوه[٩] عاماً، ومن زنى ممثيب فضرجوه[١٠] بالأضاميم[١١]، ولا توصيم[١٢] في الدين ولا غمة في فرائض الله[١٣]، وكل مسكر حرام، ووائل بن حجر يترفل[١٤] على الأقيال.

❖ عودته إلى حضرموت:

وعاد وائل إلى حضرموت بعد أن قبل النبي إسلامه وأقره على إمارته، وظل الرجل عامر القلب بالإيمان ممتلئ الصدر بحب الدين الجديد وتعظيم صاحب الرسالة العظمى، إلى أن أدركته منيته بالعراق في آخر خلافة معاوية، وكان قد انتقل إليها في آخر أيامه وله عقب بها، وقد عدَّه المؤرخون بين رجال الحديث ورواته، فذكروا[١٥] أنه روى عنه ابناه علقمة

---

(١) التبيعة: اسم لأدنى ما تجب فيه الزكاة من الحيوان.
(٢) مقوّرة الألياط: هزيلة مسترخية الجلد. الأقوار: الاسترخاء. الألياط: الجلود.
(٣) الضناك: المكتنزة اللحم، يقال للذكر والأنثى بغير هاء.
(٤) انطو: اعطوا.
(٥) الثبجة: الوسط لا من خيار المال ولا من رذالته.
(٦) السيوب: الركاز.
(٧) ممبكر: أي من البكر.
(٨) اصفعوه: اضربوه.
(٩) استوفضوه: انفوه.
(١٠) ضرجوه: ارموه.
(١١) الأضاميم: الحجارة.
(١٢) لا توصيم: لا تكاسل ولا توان.
(١٣) لا غمة في فرائض الله: أي لا يستتر بها وإنما يجهر بها.
(١٤) يترفل: أي يتسوّد ويترأس.
(١٥) الإصابة في أسماء الصحابة ج٦ .

وعبدالجبار وزوجه أم يحيى ومولى لهم وكليب بن شهاب وحجر بن عميس وآخرون، كما ذكروا أن من عقبه العلامة عبدالرحمن بن خلدون المؤرخ الشهير والفيلسوف الكبير.

❖ انتشار الإسلام:

وانتشر الإسلام في أنحاء البلاد الحضرمية بعد عودة الوفود، وحلَّ الدين الجديد محل الأديان التي كان الحضارم يدينون بها، فقد كانت الأغلبية منهم وثنية كغيرهم من العرب، وكانت هناك أقليات تعتنق اليهودية أو النصرانية.

وأقبل زياد بن لبيد عاملاً على حضرموت من قبل النبي - عليه السلام - فأقام في تريم وتارة في شبام، وأمده النبي بمعاذ بن جبل يطوف بأرجاء البلاد يعلِّم الناس القرآن، ويفقههم في الدين، وأقام زياد عنه نوابا فِي أنحاء القطر يجمعون الصدقات، وكان زياد يوزِّع صدقات الأغنياء على الفقراء، ويرسل ما فضل عن الحاجة إلى المدينة.

وبذلك استقبلت حضرموت عهدا جَديداً في ظل الإسلام خلعت فيه حياة الجاهلية وعبادة الأوثان، وانصرفت إلى توحيد الله وعبادته، وتطبيق أحكام الدين الإسلامي راضية مطمئنة.